أحياء الصفيح في الوسط العمراني: دراسة استكشافية للسياسات المسطرة والمبادرات المتخذة تجاه أحياء الصفيح في مدينة بجاية

Slums in urban centres: an exploratory study of policies and initiatives taken in favour of slums in the city of Béjaïa

محمد أكلي كزار

جامعة عبد الرحمن ميرة –بجاية (الجزائر)، **kezzar_med_akli@yahoo.fr**

تاريخ الاستقبال: 2023/09/20؛ **تاريخ القبول**: 2025/09/15؛ **تاريخ النشر**: 2026/01/10

ملخص: تؤرق مشكلة السكن الهش والاحياء القصديرية الكثير من المدن الجزائرية وبجاية واحدة من هذه المدن حيث تضم بعض الأحياء من هذا النوع ونظرا لما عانته السياسات الهادفة للقضاء عليها أو الحد منها من تحديات وعثرات، فهي تظل تشغل بال صناع القرار والكثير من الهيئات والفاعلين الذين يدورون في فلكهم. في هذا المقال سنتناول دراسة استكشافية للسياسات المسطرة والمبادرات المتخذة تجاه هذه الاحياء والنتائج التي أسفرت عنها وهذا من خلال التركيز على واحد منها (حي سوماري). وقد اعتمدنا في بحثنا على منهجية مبنية على دراسة ميدانية موجهة بالدرجة الاولى إلى الفاعلين المحلين والسكان ثم إلى الإطار المبني بشكل أقل.

الكلمات المفتاح: حي سوماري، سكن هش، أحياء صفيح، فاعلين محليين، برامج اجتثاث السكن الهش

Abstract: The problem of precarious housing and shanty towns has affected many Algerian cities, and Bejaia is one of these cities, as it includes some neighbourhoods of this type. Due to the obstacles and pitfalls that the policies aimed at eliminating them. Precarious housing has occupied the decision-makers, many organisations and actors in this city. In this paper, we have undertaken an exploratory study of the policies established and initiatives taken towards neighbourhoods and the results that have been achieved, focusing on the precarious neighbourhood of "Soumari". We based our study on a field survey mainly targeted the local actors and the population living in the district and those of the surrounding districts, and then on the framework of the district.

Keywords: Soumari district, precarious housing, shanty towns, local actors, programmes to reduce precarious housing

I- تمهيد :

مع أن عدد السكنات الهشة المحصاة في مدينة بجاية سنة 2007 لم يتجاوز 280 مسكن إلا أن عدم التكفل بها بشكل نهائي وسريع أصبح مشكل يزعج الجهات المكلفة بها حيث أن السكان القاطنين باتوا يعبرون عن معاناتهم من حين إلى آخر بطرق مستساغة مثل الوقفات الاحتجاجية وأحيانا أخرى بأساليب أكثر عنفا كغلق الطرق وأعمال الشغب وهو ما ألف سكان المدينة مشاهته خاصة بعد الظروف الجوية الاستثنائية التي تُعقد الظروف المعيشة لسكان الأحياء القصديرية.

ورغم العدد المتواضع لأسر السكن الهش في مدينة بجاية، فإن افتقاد معالجات مستدامة ونهائية جعل هذه الأحياء تتحول إلى بؤر اجتماعية تعيش على وقع الاحتجاجات والعنف الاحتجاجي، خاصة في الظروف المناخية القاسية. يطرح هذا الواقع سؤالاً مركزياً حول الأسباب الحقيقية لتعثر السياسات العمومية —من برامج ''إعادة إسكان'' وتعزيز البنية التحتية — في القضاء على ظاهرة السكن الهش. في ضوء ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف مسار تنفيذ هذه المبادرات في حيّ سوماري كنموذج، وتحليل مكامن الخلل التي أعاقت تحقيق أهدافها رغم توفر الموارد والخطط الرسمية.

السكن الهش ظاهرة عالمية مست المدن الكبرى خصوصا ومست كذلك المدن المتوسطة والصغيرة عموما، حيث تشير الدراسات المتعلقة بالظاهرة في الجزائر أنه من بين المدن الجزائرية الأكثر تضررا: عنابة، قسنطينة، ووهران و الجزائر العاصمة (قاسمي ، 2012، ص. 239) و تيبازة و بليدة ...إلخ (Mebirouk, 2018, p. 448)، كما تشير الاحصائيات المتعلقة بالسكن الهش أنه حتى المجال الريفي لا يخلوا منها فعلى سبيل المثال نجد في ولاية بجاية بعض المناطق الريفية التي أحصيت فيها هذا النوع من السكنات: واد غير (42 مسكن)، سيدي عياد (25 مسكن)، لفلاي أغرنوز (49 مسكن)...إلخ. (DUAC de la wilaya de Bejaia, 2014)

الدراستان اللتان تناولتا السكن العشوائي في مدينة بجاية (Kamel , Mouilid, Djeffal , & ALILI, 2017) (Achat , Adrar, Asloune , & Sakraoui, 2016) اهتمتا وبشكل مفصل بالتحليل المعماري والعمراني لموقعين من بين مواقع السكن الهش الأربعة (سوماري، أوكالبتوس، سيدي علي لبحر وبازأمبرو) التي تم إحصاؤها في سنة 2007 (سوماري وأكالبتوس) ولم يتم فيهما التطرق إلى المبادرات المتخذة لتحسينها أو البرامج المسطرة لإعادة إسكان القاطنين بها وهو ما حفز فينا دافع الفضول لفهم حيثاتها وتوضيح مسارها والعثرات التي واجهتها أو تواجهها.

فيما يلي واعتمادا على الأبحاث السابقة والموسوعات ذات الصلة سنقوم بتعريف المصطلحات الأساسية المستخدمة في البحث والمفاهيم القريبة منها وهي "السكن الهش"، "العشوائيات أو أحياء السكن الهش "، " المبادرات المتخذة تجاه أحياء الصفيح والسكن الهش".

– السكن الهش: وهو من بين المصطلحات المرادفة لمصطلح "بيوت الصفيح" " البيوت القصديرية" و (...) وهو الأكثر شيوعا واستعمالا من غيره في حقول الممارسة العمرانية في الجزائر حسب شوقي قاسمي (2012، ص. 225). وقد أورد ذات الباحث ثلاثة تعريفات لمصطلح السكن الهش هي كالتالي:

-"هو عبارة عن بيوت من الاغصان والوسائل المسترجعة كالحديد الصلب القديم أو الدلاء، تقطنها فئات محرومة تعاني من البطالة والجوع ولا تجد العمل في المدن" (قاسمي، 2012، ص. 126)

- "أكواخ من الاغصان والصفائح البلاستيكية أو الاسمنتية، تفتقد إلى ماء الشرب والكهرباء والغاز وكذا قنوات الصرف الصحي، الطرق المعبدة (...)، تقوم على مساحات مختـــــارة بدون ملاحـــــــــظة، وبصورة معزولـــــة في بداية المـــــــــدن الكبرى" (Belaadi , 2001, pp. 211-212) .

-"مجمل المساكن التي لا يتوفر فيها الحد الأدنى من حيث الامن والراحة" (محافظة الجزائر الكبرى، 1988، ص. 155).

ومن التعريفات الثلاثة السابقة يمكن استخلاص الميزات الاساسية للسكن الهش وهي:

- الافتقار إلى أدنى شروط الراحة والامن.
- الافتقار إلى مختلف الشبكات مثل شبكة الكهرباء، الغاز وماء الشرب والطرق المعبدة
- كونها تبنى في مناطق معزولة قرب المدن الكبرى وبشكل غير قانوني في غالب الاحيان.
- سكانها من الطبقة المحرومة ذات الدخل المحدود.

- العشوائيات أو أحياء السكن العشوائي: حسب الدكتور حسين فتحي عامر (حسين،2011، ص.13) يمكن تعريف السكن العشوائي بأنه نمو مجتمعات وإنشاء مبانٍ ومناطق لا تتماشى مع النسيج العمراني للمجتمعات التي تنمو بداخلها أو حولها ومتعارضة مع الاتجاهات الطبيعية للنمو والامتداد وهي مخالفة للقوانين المنظمة للعمران. ويضيف الباحث أنه بالنظر إلى هذه التعريفات نجد أن الإسكان العشوائي يقوم بتخطيطه وتشيده الأهالي أنفُسُهم على الأراضي الزراعية والصحراوية أو أراضي الدولة وغالباً ما تكون هذه الأراضي على أطراف المدينة وهي غير مخططة وغير خاضعة للتنظيم ولا يسمح بالبناء عليها.

ومن هذا التعريف يتبين أنه كما للسكن الهش أو بيوت الصفيح أو القصدير خصائص إنشائية ومعمارية فهو كذلك يتميز بخصائص عمرانية عامة أهمها: الطبيعة غير القانونية وغير المخططة لهذه التجمعات السكنية، عدم التماشي مع النسيج العمراني للمجتمعات التي تنمو فيها، نموها وفق أنماط عمرانية محددة ومتكررة، تشيدها وتخطيطها يكون من قبل الأهالي أنفسهم.

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد عدة أنوع من التصنيفات لأحياء السكن الهش، نذكر منها تصنيف الوكالة الفرنسية للتنمية (ADF) كونه في نظرنا التصنيف الاشمل والاعم. حيث يضم هذا التصنيف الأنواع الأربعة التالية: الاحياء القصديرية أو أحياء الصفيح، الاحياء العشوائية في طور التهيئة، الاحياء المتينة البناء دون تدخل السلطات العمومية، الحياء القديمة والمتدهورة من المدينة الرسمية. (ADF Agence Française de Développement, 2014, pp. 7-8).

- المبادرات المتخذة تجاه أحياء الصفيح والسكن الهش: مع أنه لا يوجد إجماع كلي حول أفضل طريقة للتعامل مع أحياء الصفيح فإنه يمكن التميز بين نوعين من المبادرات وهما: القضاء أو الامتصاص «la résorptions» والتحسين في الموقع ذاته «l'amélioration in situ» وقد عملت الكثير من الهيئات على دراسة وتوضيح هاتين الطريقتين، من بينها الوكالة الفرنسية للتنمية ADF التي ترجمت مضمون المقاربتين إلى نهجين أو طريقتين مختلفين: بالنسبة للطريقة الأولى إما أن يقترن الاستئصال أو الهدم بإعادة إسكان القاطنين في الحي القصديري أو لا يقترن بأي عملية إعادة إسكان. أما في النهج الثاني فإن التحسن في الموقع ذاته يمكن أن يأخذ صفة إعادة تأهيل بسيطة للمساكن والمرافق العمومية كما يمكن أن تكون العملية أكثر عمقا بحيث تسمى إعادة هيكلة ». « restructuration » (ADF Agence Française de Développement, 2014, pp. 7-10)

وتشير بعض الدراسات أن الجزائر قد جربت معظم أنواع المبادرات أو الاستراتيجيات لاجتثاث السكن الهش منذ الاستقلال حيث أوضح الأستاذ قاسمي شوقي (قاسمي، 2012، ص ص. 232-237) ذلك في مقاله الموسوم " إشكالية السكن الهش في الجزائر في ضوء استراتيجيات التصدي، برنامج RHP نموذجا" وقد خلص إلا أن النقائص المختلفة أحيانا والظروف الطارئة أحيانا أخرى كانت وراء الفشل النسبي لمختلف هذه الاستراتيجيات وبالتالي السعي إلى تجربة غيرها.

وخطة عرض بحثنا في هذا المقال تتناول على الترتيب العناصر التالية: الدراسات السابقة وموقع بحثنا منها، التعريف بالحالة المدروسة (حي سوماري بمدينة بجاية) أو حي الصفيح الذي يأبى الاجتثاث، أدوات البحث، نتائج البحث الكمية والكيفية، تأويل نتائج البحث وأخيرا الخلاصة.

1. الدراسات السابقة حول السكن الهش وموقع بحثنا منها:

عديدة هي الدراسات التي تناولت موضوع أحياء السكن الهش في الجزائر وفي البلاد الاخرى فيما يلي سنعرض بعض الدراسات التي قمنا باختيارها بناء على قرب موضوع بحثنا من المواضيع التي تناولتها وقد قمنا بتصنيفها إلى:

1.1 الدراسات ذات الطابع العام:

نذكر منها كتاب "العشوائيات والاعلام في الوطن العربي" للمؤلف حسين فتحي عامر (حسين،2011) الذي سعى في بحثه إلى الاحاطة بمفهوم العشوائيات، أسباب نشأتها، خصائصها، آليات تصميمها وبنائها، السلبيات الناتجة عنها وغيرها من المواضيع المتعلقة بها. ومن بين الدراسات العامة نجد عمل الوكالة الفرنسية للتنمية الموسوم بـ: "الوكالة الفرنسية للتنمية والتدخل في الاحياء الهشة، خلاصة التجارب وتوصيات استراتيجية" (ADF Agence Française de Développement, 2014). وليس بعيدا عن موضوع هذه الأخيرة نجد دراسة بعنوان " إعادة هيكلة أحياء السكن الهش، وصف للممارسات الجيدة" وهي للباحـــــــــــــــث أجنس ديبولي(Deboulet, 2007) . إلى جانب ما سبق نجد مقال الأستاذ شوقي قاسمي (شوقي، 2012) المسوم بـ " إشكالية السكن الهش في الجزائر في ضوء استراتيجيات التصدي " برنامج RHP نموذجا" أين نجد خلاصة مفيدة لمعظم الدراسات التي سبقتها في موضوع التصدي للسكن الهش مع تركيزه على مختلف حيثيات برنامج RHP للقضاء على السكن الهش في الجزائر.

2.1 الدراسات التي تناولت حالات بعينها:

وهي كثيرة ومتعددة، نتناول منها ما يلي وهي مرتبة حسب تسلسلها الزمني من الاحدث إلى الاقدم:

- "رهانات وأدوات سياسة حضرية، السكن التطوري كبديل للحي القصديري سيدي حرب بمدينة عنابة (شمال شرق الجزائر): وهو عنوان دراسة لحياة مبروك (Mebirouk, 2018) تناولت فيه بشيء من التفصيل برنامج امتصاص السكن الهش RHP الذي تبنته الجزائر خلال الفترة 1998 -2001 بتمويل من البنك العالمي للإنشاء قدره 120 مليون دولار (5,500 مليون دينار جزائري) لبناء 1500 مسكن وهذا من خلال دراسة حالة حي سيدي حرب وتقييم النتائج التي أفرزتها عملية إعادة هيكلة الحي والصعوبات التي واجهت عملية إعداد وإنجاز المشروع.

– " قسنطينة بين هاجس السكن الهش والتحديث العمراني ": وهـــــي دراســـة لآسية ليـــفة (ليفة ، 2017) جمعت بين موضوعين هما السكن الهش المتأصل في مدينة قسنطينة وموضوع التحديث العمراني الذي عرفته المدينة خلال الفترة 2007-2016 مع اقتراب موعد استضافتها لتظاهرة " قسنطينة عاصمة الثقافة العربية" حيث تبين من الدراسة أن المبادرات التقليدية لامتصاص السكن الهش في المدينة توقفت جزئيا لفسح المجال لعمليات التحديث العمراني الكبرى التي عرفتها المدينة خلال هذه الفترة.

–" إشكالية القضاء على السكن الهش في إطار التنمية المستدامة، حالة مدينة شلغوم العيد" وهي مذكرة ماستر من إعداد الطالب زعبوبي يعقوب (زعبوبي ، 2017). المذكرة عمل مفيد تناول في جانبه النظري مختلف المصطلحات ذات الصلة بالسكن الهش إضافة إلى تاريخ سياسة الإسكان في الجزائر مع تبيان موقع امتصاص السكن الهش منها، أما في جانبه النظري فقد تناولت بالتحليل العمراني لمدينة شلغوم العيد مع محاولة الإحاطة بظاهرة السكن الهش فيها واقتراح التوصيات الكفيلة بامتصاصه أو الحد من انتشاره.

– " إشكالية أحياء الصفيح في الوسط الحضري، حالة الدراسة: حي السكن الهش سوماري وحي السكن الهش أوكالبتوس فـــــي مدينة بجاية": وهي كـذلك مذكرة ماستر من إعداد كمال و أخرون(Kamel , Mouilid, Djeffal , & ALILI, 2017) . الدراسة تتناول إشكالية السكن الهش من حيث كونه ظاهرة ذات تأثير سلبي على المدن ويستدعي التفكير في كيفية التعامل معها بشكل يسمح بمعالجة مختلف سلبياته بيئيا اجتماعيا واقتصاديا وعمرانيا. من الناحية الميدانية تم دراسة جوانب معمارية وعمرانية للحيين إضافة إلى استبيان بعض الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للقاطنين فيهما وكذلك استبيان ما يتطلعون إليه فيما يتعلق بتحسن إطارهم المعيشي.

–" الحي القصديري كأسس لمشروع سكني جديد، حالة الحيين سوماري وأوكالبتوس في مدينة بجاية": وهـــــي مذكـــــرة مـــاســـتر مـن إعـداد عشـــاط وآخـــرون (Achat , Adrar, Asloune , & Sakraoui, 2016) تناولت موضوع السكن الهش من وجهة نظر خاصة تتمثل في إمكانية استغلال ميزات ومحاسن أحياء الصفيح كمُنْطَلق لتصميم وإنشاء مشروع سكني لائق لقاطنه بحيث يتم الحفاظ على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الإيجابية القائمة مع دعمها وتثمينها في قالب جديد. الدراسة أُجريت على حَيَيْنْ من أقدم أحياء السكن الهش في مدينة بجاية وهما حي سوماري (الحالة التي سنتناولها بدورنا في هذا المقال) وحي أوكالبتوس القريب منه. الجانب العملي لهذا البحث تركز على وصف النسيج العمراني لهذين الحَيَيْنْ إضافة إلى دراسة بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للقاطنين بهما عن طريق الاستبيان.

– " الهامشية الحضرية ظاهرة اجتماعية حضرية قاسية تأبى الزوال": نُشرت هذه الدراسة من قبل كل من بوتش بسمة ولعزري يوسف (Bouteche & Lazri, 2015) وهي تتناول تطور وأسباب وأشكال ظاهرة الهامشية الحضرية (la marginalité urbaine) التي يعاني منها الكثير من أحياء السكن الهش في مدينة قسنطينة كما تناولت الجهود الرسمية المبذولة للحد منها من خلال النصوص القانونية والإجراءات الفعلية مثل الترحيل والهدم والإسكان والتحسين إعادة الهيكلة.

– " اجتثاث السكن الهش في حاضرة عنابة '(الجزائر) . إدماج أم تأكيد للاقصاء" : هي دراسة دكتوراه من إعداد شهرزاد صراب-مصنف (Serrab - Moussannef, 2006) وهي من الدراسات الأكثر أهمية حيث تزامن إعداده تقريبا مع فترة إنجاز مشروع RHP في الجزائر فكانت بمثابة دراسة تقيمية عامة للسياسات السابقة والسياسة الجارية للتكفل بأحياء السكن الهش في مدينة عنابة خصوصا والجزائر عموما.

– "لأي استراتجية اجتثاث للسكن الهش في مدينة عنابة ، حالة السكن التطوري في عنابة ": وهي مقال لمؤلف الرسالة السابقة (Moussannef , 2005) تناول فيها دارسة ميدانية لعدد من أحياء السكن الهش التي استفادة من عملية إعادة الهيكلة في مدينه عنابة في إطار برنامج اجتثاث السكن الهش RHP ما بين 1998 و2001 وقد وصف مراحل الاعداد والإنجاز والصعوبات التي

واجهتها والنقائص التي طالتها كما قام بوصف النتيجة التي تمخضت عن هذه العمليات من الناحية المعمارية والعمرانية وخلص إلى نتيجة عامة هي: أنه رغم كون العملية مكنت جزء من السكان من بناء مساكنهم إلا أنها لم تسفر على تحسين واضح لإطارهم المعيش بل في الكثير من الحالات عقدت أوضاعهم الاقتصادية كونها تطلبت منهم نفقات هم أصلا غير قادرين على الإيفاء بها. كما أن عمليات إعادة الهيكلة هذه لم تسفر على إدماج هذه الاحياء ضمن النسيج العمراني الرسمي لمدينة عنابة.

3.1 موقع بحثنا من الدراسات السابقة:

تهتم دراستنا كما هو الحال في معظم الدراسات السابقة بفهم ظاهرة أحياء السكن الهش من الناحية العمرانية وبشكل خاص نهتم بالجهود الرسمية المبذولة من أجل معالجتها سواء عن طريق الترحيل والهدم أو عن طريق إعادة الهيكلة أو التحسين في نفس المكان. وسنهتم عن قرب في دراستنا بحي سوماري القريب من وسط مدينة بجاية بحيث نركز اهتمامنا على حيثيات عملية الاجتثاث التي تقوم بها المصالح الرسمية مع تبيان أثرها ونتائجها والصعوبات التي واجهتها.

2. التعريف بالحالة المدروسة حي سوماري بمدينة بجاية أو حي الصفيح الذي يأبى الاجتثاث:

يقع الحي بالقرب من وسط مدينة بجاية التاريخي وهو أحد أحياء السكن الهش الأربعة المتواجدة في المدينة (حي سوماري، حي أوكالبتوس، حي بازأمبرو، وموقع سيدي علي لبحر). وهو يتكون حسب إحصائيات سنة 2007 المحصل عليها من مصالح مديرية الهندسة المعمارية والعمران والبناء(DAUC) من 88 مسكن هش. الحي يحده من الشمال بيت الشباب الإخوة سوماري ومن الشرق نهج الاخوة بوجمعة ومن الغرب والجنوب مساحة غابية كثيفة تفصله عن حي واد الرمان غربا وحي أوكالبتوس جنوبا. انظر الملاحق : الصورة الفضائية رقم 01 والصورة الفضائية رقم 02.

تعود نشأة الحي إلى الحقبة الاستعمارية حيث كان يسمى حي أودالي نسبة إلى مالك قطعة الأرض الذي بُنيت فيه المساكن الأولى. حيث أنه حسب رواية السيد طاجين رئيس جمعية الحي، المكان تم التبرع به لبناء مساكن مؤقتة تأوي سكان منطقة إعمرانن الوقعة غرب مدينة بجاية بعد أن تم طردهم من قراهم من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي. وحسب نفس المصدر مع أنه تم إسكان معظم السكان الأوائل في مساكن اجتماعية بحي سيدي أحمد خلال فترة الثمانينات إلا أن المساكن ظلت قائمة وتم إعادة استغلالها من قبل عائلات محتاجة أخرى ومع مرور الزمن تطور الحي وتوسع ببناء مساكن هشة أخرى وتجديد وتوسيع المساكن الأصلية (Achat , Adrar, Asloune , & Sakraoui, 2016) وهو ما أدى إلى إعادة إنتاج وتوسيع الحي الذي لايزال قائما إلى يومنا هذا.

كما رأينا في عشرية الثمانينات استفاد السكان الأوائل من سكنات اجتماعية وهو ما يمكن اعتباره فرصة لاجتثاثه ومن خلال هدم البيوت الأولى. لكن ذلك لم يتم حسب شهادة أحد سكان حي واد الرمان وكذا رئيس جمعية الحي السيد طاجين (Achat , Adrar, Asloune , & Sakraoui, 2016) حيث سمحت السلطات المحلية آن ذاك لسكان محتاجين آخرين بمليء الفراغ وهو ما أدى إلى تجدد الظاهرة. وحسب المعلومات التي حصلنا عليها من مصالح

التقنية لبلدية بجاية ومديرية السكن لولاية بجاية الحي استفاد من برنامج RHP في إطار مخططي التنمية 2005-2009 و2010-2014 وهو ما سياتي تفصيله فيما بعد.

II – الطريقة والأدوات:

بشكل مجمل تم توظيف ستة هي، المقابلة، المقابلة المفتوحة، تحليل محتوى الوثائق ذات الصلة بالسكن وسكان حي الصفيح سوماري (مقالات صحفية، فيديوهات منشورة على الأنترانت)، استغلال الأبحاث السابقة التي أجريت على نفس الحي، وتحليل الاحصائيات المحصل عليه من المصالح المعنية ومن خلال الملاحظة الميدانية للحالة المدروسة.

– المقابلة:

توجهنا بهذه الأداة إلى مصالح محددة هي مديرية الهندسة المعمارية والعمران والبناء لولاية بجاية، مديرية السكن لولاية بجاية، مصالح التعمير والبناء والسكن على مستوى بلدية بجاية ومصالح دائرة بجاية. ويتضمن دليل الأسئلة (النصف موجهة) التي تم طرحها على المستجوبين على الأسئلة التالية: ما هي أحياء الصفيح التي تم إحصاؤها في مدينة بجاية؟ هل يوجد برنامج خاصة لإعادة إسكان القاطنين بهذه الاحياء؟ نعم أو لا. في حالة الإجابة بنعم لأي حي من أحياء الصفيح؟ ماهي طبيعة وحجم برنامج إعادة الإسكان حسب الاحياء المعنية (العدد، الفترة، الموقع)؟ ماهي العقبات التي واجهتكم لتحقيق أهداف البرامج المسطرة؟ هل هناك مبادرات خاصة لتحسين أو إعادة هيكلة أحياء الصفيح على مستوى بلدية بجاية؟ نعم أو لا، في حالة الإجابة بنعم ماهي الاحياء المعنية؟ ماهي طبيعة هذه المبدرات في كل حي (إعادة هيكلة، تزويد بشبكة الصرف الصحي، الفترة...إلخ)؟ ماهي الصعوبات التي واجهت سير هذه العمليات؟ هل هنالك برامج إعادة إسكان أو مبادرات تحسين لصالح سكان أحياء الصفيح في مدينة بجاية؟ نعم، لا، أخرى، في حالة الإجابة بنعم ماهي؟

– المقابلة المفتوحة:

تم استعمال هذه التقنية مع بعض سكان الاحياء المجاورة لحي سوماري (حي أوكالبتوس، حي واد الرمان) حيث تم التحاور مع السكان حول تطلعاتهم ومطالبهم بخصوص تحسين أوضاعهم السكنية وإمكانية استفادتهم من البرامج المسطرة في هذا الصدد.

– استغلال الاحصائيات المحصل عليها من المصالح المعنية:

حيث تم تزويدنا ببعض الاحصائيات حول السكن الهش في ولاية بجاية ككل وبلدية بجاية على وجه الخصوص وهو ما ستتطرق إليه في نتائج البحث.

فيما يخص أدوات البحث الثلاث السابقة اعتمدنا بالنسبة لكل من المقابلة و المقابلة المفتوحة في على منهجية العينة الهادفة (échantillonnage raisonné) لاختيار الجهات الفاعلة ذات الصلة: موظفو مديريتَي الهندسة المعمارية والسكن، وممثلو المجتمع المدني، إضافةً إلى ثلاث فئات من السكان (قاطنو سوماري، وسكان الأحياء المجاورة، ونشطاء محليون) . وقد تم جمع البيانات الكيفية عبر مقابلات شبه موجهة مع المسؤولين، ومقابلات مفتوحة مع السكان حول توقعاتهم ومواقفهم.

تحليل البيانات الكيفية جرى بتطبيق التحليل الموضوعاتي (analyse thématique) لتصنيف الإجابات ضمن محاور: (1) تقييم البرامج المسطرة، (2) العقبات التنفيذية، (3) مواقف السكان، ثم دراسة تعاقب وتباين الآراء.

اما بالنسبة للبيانات الكمية نظمناها في "جدول 01" مقارنًا بين مواقع السكن الهش من حيث: الصبغة القانونية للأراضي، المساحة، عدد المساكن، وعدد المبرمج لإعادة الإسكان، مع حساب نسب الإنجاز عبر الفترة 2007–2014.

– تحليل محتوى الوثائق ذات الصلة بسكن وسكان حي سوماري:

وهي مجموعة متكونة من ثلاثة مقالات صحفية نشرت في الجرائد المحلية والـوطنية(Khodja, 2012) (Illoulen, 2013) (S, 2015) إضافة إلى فيديوهان تم نشرهما على مواقع التواصل الاجتماعي لزيارتين إلى منازل بعض القاطنين في حي سوماري قام بها على ما يبدو نائبين من المجلس الشعبي الولائي لولاية بجاية.

–استغلال الأبحاث السابقة التي أجريت على حي الصفيح سوماري:

وهما دراسة كل من كمال و أخرون (Kamel , Mouilid, Djeffal , & ALILI, 2017) بعـــنوان *" إشكالية أحياء الصفيح في الوسط الحضري، حالة الدراسة: حي السكن الهـــش سوماري وحـي السـكن الهش أوكالبتوس فـي مدينة بـجاية"* ودراسة عشـاط وآخرون (Achat , Adrar, Asloune , & Sakraoui, 2016) بعنوان *"الحي القصديري كأسس لمشروع سكني جديد، حالة الحيين سوماري و أوكالبتوس في مدينة بجاية"* حيث وفر لنا هذين العملين عناء التحليل المعماري والعمراني للحي وعناء أخذ الصور الفتوغرافية من جديد الذي قد يزعج سكانه.

– الملاحظة:

حيث اكتفينا بالمعاينة الخارجية لحي سوماري وكل من حي أوكالبوس وحي واد الرمان المجاورين له وذلك بدون أخذ الصور تفاديا لإزعاج السكان وحفاظا على لكرامتهم.

III– النتائج ومناقشتها:

فيما يلي سنعرض نتائج البحث مع تميزها إلى نتائج كمية ونتائج كيفية وهذا تمهيدا لتحليل وتأويل ما يستدعى منها ذلك

– النتائج الكمية:

سمحت لنا التحريات والزيارات المتكررة للمصالح المكلفة بالسهر على ملف السكن الهش في ولاية بجاية بالحصول على جملة من المعطيات ذات الصلة والمتمثلة في كل من: أسماء مواقع السكن الهش، الصبغة القانونية لأرضيات المواقع، المساحة، طبيعة البناء، عدد المساكن، عدد العائلات، عدد الاسر، وعدد المساكن المبرمجة لإعادة إسكان القاطنين في المساكن الهشة. وهي ما تم تفصيله في الجدول رقم 01.

–النتائج الكيفية:

تم جمعها من خلال المقابلات والمقابلات المفتوحة مع المصالح المعنية وسكان بعض أحياء السكن الهش إضافة إلى تحليل الوثائق المنشورة حول السكن وسكان حي سوماري في الصحف ومواقع التواصل الاجتماعي إضافة إلى الملاحظات الميدانية.

– استياء السكان من طول مدة انجاز البرامج المخصصة لإعادة إسكانهم وعدم توزيع السكنات السبعين التي تم إنجازها قرب موقع حي سوماري منذ حولي عشر سنوات.

– السكان عبروا عن شعورهم بأن حيهم في عداد الاحياء التي تم نسيانها من قبل السلطات المعنية.

– فيما يخص توزيع السكنات السبعين المنجزة، السكان عبروا عن وجود حالة من عدم التفاهم وتضارب المصلحة بين المحتاجين الذين أودعوا ملفاتهم للاستفادة وهم من الاحياء القريبة: سوماري، أوكالبتوس ووادي الرمان.

–سكان حي واد الرمان عبروا عن معاناتهم من مياه الصرف الصحي الآتية من حي سوماري الذي لا يتوفر على شبكة صرف صحي فيما يبدو.

– قيام سكان حي سوماري بعدة احتجاجات والتي تأخذ عدة أشكال مثل وقفتهم الاحتجاجية عند مركز الدائرة في يوم 26 مارس 2015 وقيامهم بغلق الطريق على مستوى الحي تعبيرا على معاناتهم وطلبا لإجلائهم عند تعرضهم لتبعات الأحوال الجوية الاستثنائية مثل التهاطل الشديد للأمطار.

– بعض السكان عبروا عن رفضهم للانتقال لأحياء سكنية جديدة وعن تمسكهم بالبقاء في الأحياء التي عاشوا فيها مُدد طويلة من أعمارهم.

– التأخر في التكفل بالقاطنين في أحياء السكن الهش وَلد عندهم إضافة إلى حالة الاستياء تفسيرات مختلفة (سياسية –حزبية– عرقية – عنصرية...إلخ.).

– مصالح مديرية السكن أرجعت فسرت التأخر في إنجاز القسم الأكبر من برنامج RHP الخاص بمدينة بجاية إلى عدم توفر الاوعية العقارية الكافية.

– مصالح مديرية السكن عبرت عن قرب الانتهاء من إنجاز من شروع 1054 مسكن في إطار برنامج RHPعلى مستوى موقع سيدي بودراهم.

–تحليل وتأويل نتائج البحث:

يتبين من الجدول أن ظاهرة السكن الهش في مدينة بجاية من الناحية الكمية غير متفاقمة رغم قدمها النسبي حيث تتمثل في 274 مسكن هش تتوزع في أربعة مواقع ثلاثة منها قريبة من وسط المدينة وهذا بالمقارنة مع حجم الظاهرة في المدن الكبرى مثل عنابة، قسنطينة، الجزائر العاصمة ووهران.

بالنسبة لبرنامج RHP الخاص بمدينة بجاية، تم إنجاز 70 مسكن من بين 462 مسكن حسب معطيات مديرية الهندسة المعمارية والعمران لولاية بجاية ومن بين 1124 مسكن حسب أرقام مديرية السكن وهذا خلال مدة 14 سنة (2007-2014) وهي نسبة صغيرة تُعطي صورة واضحة على تراخي وتيرة التكفل بالقاطنين وبالظاهرة ككل وهذا بغض النظر عن أسباب هذا التأخر. كما أن هذه الأرقام تدل على اكتفاء الجهات الرسمية المخولة بصيغة الترحل لاجتثاث السكن الهش وإهمالها للصيغ الممكنة الأخرى.

تعكس هذه الأرقام نسبة إنجاز لم تتجاوز 15 % (70 مسكنًا مكتملًا و غير موزعًا فعليًا)، رغم توفر الاعتمادات وبدءِ تنفيذ البرنامج منذ عام 2007. كما يتضح من بيانات الصبغة القانونية للأراضي والمساحة أن أكثر من جميع المواقع تقع على أراضٍ غير مملوكة لأصحاب السكنات الهشة، وهو ما يفسر تفضيل صيغة الترحيل من قبل السلطات المعنية لاعتبارات قانونية تحول دون تمليكها لهم وربما لاعتبارات أخرى تتعلق بطبيعة موقع الحي الاستراتيجي في المدينة.

النجاح في اجتثاث موقع واحد للسكنات الهشة في مدينة بجاية خلال مدة 14 عام وهو موقع سيدي علي لبحر الذي يضم 12 مسكن، وعلى ما يبدو هذا الانجاز جاء نتيجة لضرورة تنموية مُلحة أخرى تتعلق بإنجاز مقطع الطريق السريع الرابط بين بجاية والطريق

السيار شرق غرب حيث حالف الحظ القاطنين في الموقع كونه يقع في مسار هذا الطريق. ومما يؤيد هذا المنحى هو إعادة إسكانهم ضمن برنامج (LPL) غير البرنامج المخصص لهم.

عدم توزيع السكنات السبعين التي أُنجزت لإعادة إسكان القاطنين بحي سوماري لمدة أكثر من 10 سنوات يمكن تفسيره بوجود طلبات أخرى عليها من سكان آخرين من الاحياء المجاورة هذا وقد يُفَسر كذلك إرجاء المصالح المعنية لعملية لتوزيعها تفاديا لردات فعل السكان غير المستفيدين وما يمكن أن تؤول إليه من تطورات غير محمودة.

الهشاشة السكنية تخفي هشاشة أخرى هي الهشاشة الاقتصادية والتي من أهم مظاهرها هشاشة مناصب العمل وتدني الاجور إلى حد لا يسمح للفرد كراء مسكن لائق فظلا عن التفكير في امتلاكه وهو ما أوضحته جليا صحيفة La dépêche de la Kabylie من خلال استجواب أحد القاطنين في حي سوماري.

تفسير التأخر في إنجاز السكنات المبرمجة لاجتثاث السكنات الهشة في مدينة بجاية من قبل مصالح مديرية السكن بعدم توفر الاوعية العقارية في نظرنا قد يخفي أسباب أخرى مثل التعقيدات الإدارية المتعلقة بتوفير الاوعية العقارية وكذا طبيعة الاوعية العقارية ذاتها التي تتطلب مدة إنجاز أطول نظرا لانحدارها إضافة إلى التأخر في مدة الإنجاز التي عادة ما ترتبط بظروف أخرى مثل توفر مواد البناء وتغير أثمانها وما إلى ذلك. وهذا ما يكن التحقق منه من خلال إجراء بحث خاص حول حيثيات الاعداد والإنجاز لمشروعRHP مدينة بجاية.

تعبير بعض سكان مواقع السكن الهش عن رغبتهم في البقاء ورفضهم في الانتقال إلى أحياء سكنية جديدة قد يدل على عدم اشراكهم في اختيار مواقع السكنات المنجزة لإعادة إسكانهم وافتقار المشروع لأي مقاربة تشاركية.

IV- الخلاصة:

تعد ظاهرة السكن الهش في المدن الجزائرية قديمة إلى حد ما فهي ترجع إلى الفترة الاستعمارية وتشهدها المدن الكبيرة كما تشهدها المدن المتوسطة مثل بجاية لكن بحجم أقل نسبيا. وقد عرفت الجهود المبذولة لاجتثاثها مراحل وأشكال مختلفة وتطورات عديدة لعل أهمها برنامج RHP خلال الفترة 1998-2001 م والذي حمل في طياته منهجية مختلفة جذريا عما سبقه من محاولات الاجتثاث حيث تم فيه تفضيل عمليات التحسين في الموقع أو إعادة هيكلة المواقع وربطها بالأنسجة الحضرية الرسمية.

عرفت مدينة بجاية ظاهرة أحياء الصفيح منذ الفترة الاستعمارية من خلال حي سوماري وحي أوكالبتوس. كما أنها شهدت محاولات لاجتثاث الظاهرة لعل أهمها عملية إعادة إسكان حي سوماري في مساكن اجتماعية بحي سيدي أحمد خلال فترة الثمانيات من القرن الماضي وهي المحاولة التي لم تُتوج باجتثاث الحي لعدم هدمه بل ولغض الطرف عن استحواذ سكان جدد على المساكن المتروكة.

وتظهر نتائج البحث أن مدينة بجاية لم تستفيد من برنامج RHP الذي أُنجز بتمويل من صندوق الإسكان الدولي خلال الفترة 1998-2001. كما يتبين أنها حظيت ابداء من 2007 ببرنامج إعادة إسكان يتضمن إنجاز ما لا يقل 426 مسكن (1124 مسكن حسب مديرية السكن) وهو عدد يفوق عدد مساكن السكن الهش المحصاة إلى غاية 2007م. ومع أهمية هذا البرنامج فإنه عرف تأخرا كبيرا في الإنجاز حيث لم يتم إنجاز خلال فترة 14 سنة سوى 70 مسكنا لم يتم توزيعها حتى هذه الساعة.

ويظهر كذلك من خلال هذا البرنامج تفضيل المصالح المعنية صيغة الاجتثاث عن طريق الترحيل على صيغ الامتصاص الأخرى مثل التحسين في المكان وإعادة هيكلة المواقع بمشاركة السكان. ويتبين من خلال المقابلات المفتوحة مع السكان أن البرنامج الحالي يفتقر إلى مقاربة تشاركية تجاه القاطنين بأحياء السكن الهش الامر الذي قد يعيق عملية ترحيلهم إلى الاحياء الجديدة.

إن التأخر الذي شهده برنامج اجتثاث السكن الهش في مدينة بجاية (14 سنة) ليستدعي بحثا مستفيضا لمعرفة أسبابه الموضوعية حتى يتسنى تجنبها في المشاريع المستقبلية كما يستدعى العمل على تبيان آثاره الاجتماعية والنفسية على القاطنين في هذه الاحياء سعيا لمعالجتها والحد من سلبياتها على الفرد والمجتمع.

أظهرت المقابلات المفتوحة مع السكان وجهاً مزدوجاً: فبينما مجّد البعض برامج الإسكان الاجتماعي، عبَّر آخرون عن **رفضٍ قاطع للترحيل** نتيجة افتقار العملية لأي مقاربة تشاركية، وهو ما أضعف ثقتهم في الجهات التنفيذية. كما كشفت المقابلات مع مسؤولي السكن عن أزمة **تعقيدات "بيروقراطية اجتماعية"** أرجأت توزيع 70 مسكنًا جاهزًا منذ أكثر من عشرة أعوام، رغم حاجات السكان الملحة. بناءً على هذه النتائج، تقترح الدراسة التوصيات التالية:

- **تبني نمط تشاركي** يدمج السكان في اختيار مواقع الإسكان البديل ويصمم الحلول وفق أولوياتهم.
- **تبسيط آليات تخصيص الأراضي لمشاريع الإسكان الجديدة** عبر لجنة مشتركة تضم ممثلين عن المصلحة العقارية، والبلدية، والجمعيات المحلية.
- **دمج برامج التحسين في عين المكان « in situ »** (تأهيل المساكن والبنى التحتية في مكانها) كبديل للترحيل، خصوصًا في الأحياء ذات البنية المجتمعية القوية.

.– الإحالات والمراجع :

1- حسين، فتحي عامر (2011). **العشوائيات والاعلام في الوطن العربي**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

2- زعبوبي، يعقوب (2017). **إشكالية القضاء على السكن الهش في إطار التنمية المستدامة**، معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة أم البواقي. الجزائر.

3- قاسمي، شوقي (2012). إشكالية السكن الهش في الجزائر في ضوء استراتيجية التصدي، برنامج RHP للبنك الولي نموذجا، مجلة الانسان والمجتمع،1(01)، 223-251.

4- ليفة، آسية (2017). قسنطينة بين هاجس السكن الهش والتحديث العمراني، مجلة العلوم والتكنولوجيا D، 46، 89-101.

5- محافظة الجزائر الكبرى (1988). **الجزائر عاصمة القرن الواحد والعشرين**. الجزائر.

6-Achat , M., Adrar, S., Asloune , F., & Sakraoui, A. (2016, Mars 01). Un bidonville comme support d'un nouveau projet d'habitat (cas de la cite soumari et la cite eucalyptus,Bejaia). Mémoire de master 2 en Architecture . Université de Bejaia. Bejaia , Algérie

7- ADF Agence Française de Développement. (2014). L'AFD et l'intervention en quartiers précaires : retours d'expériences et recommandations stratégiques. En ligne : https://docplayer.fr/19945743-Avril-2014-l-afd-l-intervention-en-quartiers-precaires-retours-d-experiences-et-recommandations-strategiques.html (visite : 01/01/2021)

8-Belaadi , B. (2001). Le Bidonville : Histoire D'un Concept. *revue des sciences humaines*, 1 (1). 207-213.

9-Bouteche , B., & Lazri, Y. (2015, juin 01). Marginalites urbaines :un phenomene urbain et socital qui persiste et sevit. *Science et technologie-D*, 41(04), 61-74.

10-Deboulet, A. (2007). Restructurer l'habitat précaire. Récits de « meilleures pratiques ». *Espaces et sociétés* , 131, pp. 67-83. En ligne : https://doi.org/10.3917/esp.131.0067 (visite : 01/01/2021)

11-DUAC de la wilaya de Bejaia. (2014). Actualisation recensement de l'habitat précaire à travers de la wilaya de Bejaia arrêtée au 23/03/2014. Bejaia, Algérie.

12-Illoulen, T. (2013). Cité Soumari : éffondrement d'une bâtisse. *Elwatan*. En ligne : https://www.elwatan.com/archives/bejaia-archives/cite-soumari-effondrement-dune-batisse-06-02-2013 (visite : 01/02/2021)

13-Kamel , Z., Mouilid, A., Djeffal , M., & ALILI, S. (2017). Problématique des bidonvilles dans l'espace urbain (Cas d'étude : Bidonville de la cité Soumari et la cité Eucalyptus, BEJAIA). Mémoire de Master II en Architecture. Université de Bejaia. Bejaia, Algérie,

14-Khodja, M. (2012). Plus de 80 familles y vivent depuis des dizaines d'années Virée dans un bidonville au coeur de Béjaïa , *La dépêche de la kabylie* , En ligne : https://www.depechedekabylie.com/national/115778-viree-dans-un-bidonville-au-coeur-de-bejaia/ (visite : 01/01/2021)

15- Mebirouk, H. (2018). Enjeux et instruments d'une politique urbaine, le logement. *Cahiers de géographie du Québec,, 26*(177), 445–458.

16-Moussannef , C. (2005**).** Pour quelles strategie de resorption de l'habitat precaire? le cas du logement evolutif à annaba. *Revue des sciences humaines, 16*(23), pp. 79-88.

17- S, B. (2015). Béjaïa : Pour réclamer des logements décents Rassemblement des résidents du bidonville Soumari devant la daïra. *La dépêche de la kabylie*. En ligne : https://www.depechedekabylie.com/evenement/150196-rassemblement-des-residents-du-bidonville-soumari-devant-la-daira/ (visite : 17/01/2021)

- Serrab - Moussannef, C. (2006). Resorption de l'habitat precaire dans l'agglomeration de annaba 18 (algerie).integration ou epreuve de l'exclusion ?**,** thèse Université de Badj Mokhtar , Annaba, Algérie.

– ملاحق :

صورة 01 : صورة ملتقطة بالصاتل تبين مواقع أحياء السكن الهش في مدينة بجاية



المصدر: قوقل إرث، 2021، تم معالجتها من قبل المؤلف

صورة 02: صورة ملتقطة بالصاتل لموقع حي الصفيح سوماري وبيئته الطبيعية والعمرانية



المصدر: قوقل إرث 2021 ، تم معالجتها من قبل المؤلف

الجدول رقم 01: المعطيات الأساسية المتعلقة بمواقع السكن الهش التي تم إحصاؤها في مدينة بجاية و المحينة إلى غاية 2014م.

اسم موقع السكن الهش	الصبغة القانونية للأرضية	المساحة (هكتار)	طبيعة البناء				المعطيات الاجتماعية				عدد السكنات المبرمجة للإنجاز	عدد السكنات المنجزة
			مواد غير متجانسة	طوب و حجر رباط بدون هياكل	حجر و طين منحط	عدد المساكن الهشة المحصاة في 2007	عدد المساكن المجتثة	عدد العائلات	عدد الأسر	عدد الأسر التي تم إعادة إسكانها		
حي سوماري	عقار بلدي	0,45	4	84	0	88	00	71	79	00	120+ 342	70
سيدي على لبحر	المجال البحري العام DPM	0,1	0	12	0	12	19	13	15	19		
حي أوكالبتوس	عقار بلدي	0,7	0	73	0	73	00	71	98	00		
باز أمبرو	عقار بلدي	1,78	0	101	0	101	00	102	116	00		
المجموع	/	3,03	4	270	0	274	00	257	308	00	462	70

المصدر: مديرية الهندسة المعمارية والعمران والبناء DUAC لولاية بجاية.